حذف الموصوف من الكلام عند العرب
(الحديث النبوي الشريف أنموذجاً)

إعداد ودراسة: د. إسماعيل مفتاح الوحيشي
أستاذ في الدراسات اللغوية العربية
جامعة طرابلس / كلية العلوم الشرعية تاجوراء

مقدمة

الحمد لله منزل القرآن، والصلاة والسلام على صاحب البيان، وعلى آله والتابعين لهم بإحسان.

وبعد ...، فإن ظاهرة الحذف في الكلام هي إحدى الظواهر اللغوية التي تتسم بها اللغة العربية، ومنذ نشأة علومها لفتت هذه الظاهرة انتباه اللغويين العرب عند دراستهم لأساليبها وقواعدها، ولم يقتصر دراسة هذه الظاهرة على النحويين وحدهم، إنما درسها العلماء كل حسب حاجته، فدرسها النحويون في قواعدهم، والبلاغيون في أبواب البلاغة، والمفسرون في ثنايا تفاسيرهم، والصرفيون في تركيب الكلمة، وغيرهم.

وكنت عند دراسة ظاهرة النيابة عند العرب في الفعل والاسم والحرف في مرحلة الدكتوراه قد أشرت في إشارة عابرة إلى قيام الصفة مقام الموصوف بإيجاز مختصر، لا يبين هذه الظاهرة من جميع جوانبها، كما أنني لم أطبقها على نص عربي فصيح لبيان بلاغتها وبراعة اللغة في استعمالها؛ لذلك رأيت أنه للمنفعة العلمية إعادة دراسة هذه الظاهرة منفردة؛ للتوسع في أحكامها وطريقتها، مبيناً براعتها وبلاغتها بإسهاب غير مخلٍّ –بإذن الله– وتطبيق عملي على النصوص العربية.

ولبيان ذلك سأحاول من خلال هذا البحث المستفيض أن أتحدث عن ظاهرة حذف الموصوف عند النحويين، متناولاً فيها حذف الموصوف من الكلام، وموقف النحاة وآراءهم في حذفه، وشروط قيام الصفة مقامه عند النحاة، وتخريجهم لبعض الشواهد والأقوال والأمثلة على حذف الموصوف، والغرض من حذفه، ومراتب الموصوف بين الحذف والمنع، وحكم حذفه وإبقاء جملة الصفة مكانه، ثم قمت في آخر مسائله بدراسة حذف الموصوف في الحديث النبوي الشريف؛ للوقوف على هذه الظاهرة في النثر خاصة[1]. واخترت الحديث النبوي لذلك؛ لأنه روي عن أفصح من نطق بالضاد النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم.

---

1. اخترت النثر دون النظم؛ لأن أكثر النحويين قبحوا حذف الموصوف فيه إلا إن دل دليل وشهد الحال بذلك.

ويهدف البحث إلى معرفة ظاهرة حذف الموصوف في الكلام العربي، وكيفية تعامل النحويين مع حذفه، وهل هذا الحذف جائز عندهم على الإطلاق في الشعر والنثر؟ أو لهم شروط وآراء مختلفة.

وتكمن أهميته في الوقوف على آراء كثير من النحاة حول حذف الموصوف، والخروج بصورة واضحة حول موقفهم من حذفه، ومتى يجوز أو يجب ذلك؟ ومتى لا يجوز؟ ثم تطبيق ذلك على ما تيسر لي من أحاديث مروية عن سيد الخلق عليه الصلاة والسلام.

واتبعت في إعداد البحث المنهج الاستقرائي الوصفي وكل ما يتصل بطريقته وخطواته في البحث والدراسة، فحاولت جمع آراء النحاة في حذف الموصوف، وأقوالهم المختلفة فيه؛ لمعرفة موقفهم من حذفه عامة، مستعيناً بالحديث الشريف في توضيح هذه الظاهرة في اللغة العربية، فإن وفقت فمن فضل الله ومنّه، وإن كان غير ذلك فلا أدعي الكمال، وحسبي أني اجتهدت ما استطعت.

ظاهرة حذف الموصوف في النصوص العربية.

لم يغب عن علمائنا الأوائل وجود ظاهرة الحذف في لغتنا، فتطرقوا إليها في كتبهم بين مسهب في تفاصيلها وبين مشير إليها في إشارات عابرة، وكان حذف الموصوف من الكلام مما ذكره النحاة وأشاروا إليه، وفيما يلي بيان لهذا الحذف وأحكامه وشروطه.

أولاً- آراء العلماء في حذف الموصوف وقيام الصفة محله في الكلام.

ثانياً- شروط حذف الموصوف عند بعض النحويين.

ثالثاً: تخريج النحويين لبعض الشواهد والأقوال والأمثلة على حذف الموصوف.

رابعاً: السبب والغرض من حذف الموصوف من الكلام.

خامساً- مراتب الموصوف بين الحذف والمنع.

سادساً- حذف الموصوف وقيام جملة الصفة مقامه:

سابعاً- حذف الموصوف في الحديث النبوي الشريف.

الخاتمة

خُلاصة القول فإن حَذفَ الموصوف لا تتأتّى ولا تطّرد في كلّ موضعٍ عند النحويين، وإنما يطّرد حَذفُهُ عندهم في الشعر دون النثر؛ لامتناع القياس فيه، ولا تكون في النثر إلا بشروطٍ خاصةٍ في مواضع مخصوصة ومعينة، يستقيم معها الكلام ويُؤمَنُ اللّبْسُ.

ومن خلال دراسة هذا الموضوع توصلت إلى بعض النتائج الآتية:

1- إن حذف الموصوف ظاهرة لغوية درسها النحاة وغيرهم مبينين أحكامها وشروطها، موضحين مراتب الموصوف مع الصفة في الكلام.

2- إن ذهاب النحاة إلى تقبيح حذف الموصوف ومنعه في النثر دون الشعر لم يكن على الإطلاق، فهناك مواضع يجب فيها حذفه ولا يجوز ذكره، ومواضع أخرى يجوز فيها حذفه.

3- رغم أن النحويين تشددوا في منع حذف الموصوف إلا في الشعر لضرورة، وقبحوا حذفه في النثر إلا لدليل، إلا أنهم خرّجوا عليه الكثير من الشواهد والأمثلة والأقوال؛ لضبط قواعدها وإحكام أساليبها، وتوجيه إعرابها، بل إن منهم من لجأ إليه للانتصار لرأي من الآراء وبيان مذهب من المذاهب، كما هو الحال عند الأنباري.

4- لم يكن حذف الموصوف من الكلام عبثاً لغوياً أو قصوراً في أساليبها وتعابيرها، إنما يكون ذلك لأسباب وأغراض لغوية، نحو: التخفيف، والتوسع في التعبير والمعاني، بل إن الكلام يكون -أحياناً- أبلغ وأكثر براعة بحذفه.

5- وجود ظاهرة حذف الموصوف في الحديث النبوي الشريف يدل على أنه من أساليب اللغة العالية الرفيعة؛ فهو مروي عن خير من نطق بالضاد، وأفصح العرب لساناً صلى الله عليه وسلم.

كما لا يسعني في ختام البحث إلا أن أوصي الباحثين والدارسين بالآتي:

1- دراسة ظاهرة الحذف في مواضع أخرى من الكلام العربي، نحو: حذف المفعول، وحذف الفاعل، وحذف الضمير، وحذف الفعل، وحذف الحرف، وغير ذلك، من خلال نصوص عربية فصيحة، قرآنية كانت أو شعرية أو نثرية؛ لبيانها والوقوف على أحكامها والغرض اللغوي من حذفها.

2- دراسة الظواهر اللغوية الأخرى، نحو: التقديم والتأخير، والاختصار والإيجاز، والتقدير والإضمار، ... وغيرها من الظواهر، من خلال الحديث النبوي الشريف، وبيان أحكامها والغرض من ذلك.

3- الاهتمام بالدراسات اللغوية عامة من خلال القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف؛ لبيان مزيد من بلاغتهما وأسرارهما اللغوية الفريدة والإعجاز اللغوي فيهما.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.